الذى لامهرب منه لهارب ولو تعلّق من السحاب ، بحبائل وأسباب ! . نعم إنها لتغيبنا عنه لأننا ماذكرناه أبداً إلا رأيناه منا بعيداً ، وقد نكون منه على رمية حجر !

***

إذن لقد خرج لنا من كل هذا أن قيام الانسان فى الدنيا إنما هو مدين لهذه الأثرة فى طبعه ، فبها يحرص على الحياة ويتشبث ، وبها يرضى عن الحياة ويكلف ، وفى سبيلها يحتمل الأوجاع والأسقام ، ويسيغ كل ما تعتريه به الليالى من أحداث جسام . فمن فاتته فيها المتع ففى الآمال متع ومناعم ، ومن ألحّ عليه الضيق ففى المنى سعة ومغانم . بل إنه ليفرح كلما مضى من عمره عام وأقبل عام ، بما توسوس له من المنى وتمدّ له من كواذب الأحلام .

ألا عاشت هذه الأثرة ليعيش فى ظلها هذا الانسان ! . . . .

عبد العزيز البشرى

٥ ـ بين القاهرة وطوس

طهران الى نيسابور

للدكتور عبد الوهاب عزام

تلقينا يوم قدومنا طهران دعوات كثيرة إلى حفلات رتبتها الحكومة — دعوات باسم رئيس الوزراء ووزراء الداخلية والخارجية والمعارف ، ولجنة الآثار القومية ، ونادى « إيران جوان » . وكانت دعوة رئيس الوزراء إلى العشاء فى قصر گلستان ، والدعوات الأخرى إلى الغداء فى دار البلدية ونادى إيران . وقد دعت لجنة الآثار إلى شهود التمثيل مرتين فى مسرح « مسالن نيكوئى » وإلى شهود لعب الجوكان وألعاب أخرى فى ميدان سلطنت آباد .

تعشينا الليلة الأولى فى القصر الملكى . قصر گلستان ، وهو بناء جميل يرى الداخل إليه حديقة فيها أحواض ماء كبيرة ، وقد رأينا على حافة الأحواض شموعاً كثيرة . توقدت فيرى للألائها على صفحة الماء رواء جميل

وصعدنا إلى بهو فسيح غشيت جدُره وسقفه بالمرايا وقطع البلور — وهذه زينة شائعة فى إيران رأيناها فى أمكنة كثيرة — وصُفت فى جوانب المكان دواليب فيها ذخائر الملوك السالفين : قطع كبيرة من الأحجار النفيسة ، وسيوف وخناجر وتروس ، وأدوات للزينة ، وأباريق وطسوت ، كل ذلك محلى بالماس والياقوت ، والعقيق والفيروز ، وفى صدر المكان عرش محلى بالأحجار الثمينة له مسند على صورة ذنب الطاووس ويسمى عرش الطاووس ، وكذلك رأينا كتباً قديمة قيمة فيها من عجائب الخط والنقش والتجليد آيات من الصناعات الاسلامية

أمتعنا النفس رؤية هذه الأعلاق ، ثم تعشينا ، وشهدنا بعد العشاء ألعاباً نارية كثيرة

ومن الأبنية الفخمة التى رأيناها فى طهران مسجد سپاهسالار وهو مسجد كبير فيه مدرسة تسمى الآن مدرسة المعقول والمنقول ، ولها مكتبة بها مخطوطات قيمة ، ومساجد إيران كلها متشابهة فى قيامها على عقود كبيرة وقباب ، وفيما يجللها من الكاشانى ، والخط الجميل

وزرنا مجلس الشورى الملى (البرلمان) وهو بناء جديد رائع تناولنا الشاى فى الطبقة الثانية منه فى حجرة غشيت جدرها وسقفها بقطع البلور ، يتخللها ضوء النهار أوضوء الكهرباء ليلاً فاذا حجرة من النور يحار فيها الطرف

وكذلك رأينا مدرسة الصنائع المستظرفة (الفنون الجميلة) وهى مدرسة ناشئة يرجى لها فى الاحتفاظ بصنائع إيران مستقبل عظيم

وزرنا مصيف جلالة الشاه قصر سعد آباد . وهو بناء جميل فى سفح جبل شمران شمالى طهران ، يحلّق على منظر رائع من الأشجار الممتدة على السفح ، وتنحدر إليه المياه متدفقة من الجبل . والقصر بناء صغير به بضع حجرات ، وقد بنى كله بأحجار ذات ألوان طبيعية مختلفة جلبت اليه من أرجاء البلاد . ومن حجراته واحدة فيها مكتب جلالة الشاه . وقد لفت الأنظار اليه جمال صنعه ، وصورة مدفع صغير فوقه ، ومقلة لها سياج من رصاص البنادق . تناولنا الشاى فى حديقة نسقت بها الأزهار تنسيقاً رائعاً . ثم انصرفنا حين أشفقنا من برد العشى

وشهدنا التمثيل مرتين ، مثلت فى الليلة الأولى ثلاث قطع من

الشاهنامه . وفى الليلة الثانية قصة سهراب

وشهدنا يوم السبت ١٤ مهرماه (٦ أكتوبر) فى ميدان سلطنت آباد على مقربة من المدينة لعب الجوكان (جوگان بازى) وألعاباً رياضية أخرى (نمايشات زورخانه)

والجوكان لعب الكرة والصولجان على متون الخيل . وكان لعباً شائعاً فى العالم الاسلامى ولا سيما ايران . ويذكر كثيراً فى الشعر الفارسى . وأخذت منه فى اللغة كنايات كقولهم « گوى برد » أى أخذ الكرة ، بمعنى حاز قصب السبق فى اللغة العربية يقول الشيخ سعدى :

« فسحت ميدان أرادت بيار تابزند مرد سخنگوى گوى »

وترجمته : افسح ميدان الارادة ليضرب الرجل المنطيق الكرة أى أحسن الاستماع ليستطيع النصيح أن يتكلم . وكان بجانبى وقت اللعب ملك الشعراء بهار فقلت : كم قرأت عن « أخذ الكرة » فى الشعر الفارسى وما فهمته حقاً إلا الآن .

والألعاب الأخرى ، وتسمى « نمايشات زورخانه » ضروب مختلفة من اظهار القوة : ضرب الطبل فجاء جماعة يلبسون سراويلات من الجلد وسائر أجسامهم عار ؛ ونزلوا الى حفرة مستديرة قريبة الغور . وجلس على مقربة منهم رجل على منصة يدق الطبل وينشد شعراً من الشاهنامة وغيرها ، بدأوا يرقصون على هذه الأنغام ، ثم لعبوا ألعاباً مختلفة : يدور واحدهم على نفسه مسرعاً باسطاً يديه أو يحمل حلقة من سلسلة ثقيلة يرفع بها يديه واحدة بعد الأخرى أو يستلق على ظهره ثانياً رجليه ويأخذ بكل يد قطعة من الحديد مبسوطة لها مقبض فى وسطها فيرفع بها يداً بعد أخرى مائلاً على جنبيه ، أو يقوم ممسكاً بيديه حديدتين ثقيلتين يحركهما حركات مختلفة ، وهكذا . وهى ألعاب قديمة تدل على القوة والمران

أمضينا فى طهران خمسة أيام . وطهران مدينة حديثة ، كانت قرية صغيرة بجانب مدينة الرى الكبيرة . ثم بنى لها الشاه طهماسب الصفوى سوراً عظيما . ثم اتخذها آغا محمد خان القاجارى دار ملك ، فشرعت تعظم وتتسع

ويوم الثلاثاء ٣٠ جمادى الثانية (١٩ اكتوبر — ١٧ مهرماه) برحنا طهران مبكرين متوجهين تلقاء مشهد . وبين المدينتين ٨٩٧ كيلا قطعناها فى ثلاثة أيام ؛ وكان جلالة الشاه قد سار الى مشهد قبلنا بيومين

اجتزنا جبال فيروز (فيروزكوه) وهى جبال وعرة مديدة تجهد فيها السيارة صاعدة وهابطة ثلاث ساعات ، وبلغنا مدينة سمنان بعد الظهر فنزلنا داراً بظاهر البلد فى فناء مصنع كبير حديث لغزل القطن ونسجه ، وفى الفناء حوض واسع ، جلسنا على حافته فرفعنا عن الوجوه وعث السفر واسترحنا وتغدينا ، ثم استأنفنا المسير فقطعنا الى دامغان ١١٣ كيلاً ، واخترقنا البلد ولم نقف به

وسأتكلم عن سمنان ودامغان حين أصف عودتنا من مشهد الى طهران . وقطعنا من دامغان الى شاهرود ٦٧ كيلا ، وبلغنا المدينة بعد الغروب ، وقد زين شارعها بسجاجيد كثيرة ، فنزلنا بدار كبيرة خارجها ، نزل بعضنا فى حجراتها وآخرون فى خيام ضربت فى الحديقة وفرشت فرشاً حسناً ، وقد شعرنا بالبرد الشديد فى هذا البلد ، وأصابنى به برد لازمنى حتى عدت الى طهران ، فنغص على السفر قليلاً وأفاتنى بعض المشاهد . فلها فى سفرنا ذكرى لا تنسى

إذا أنت لم تنفع فضر فانما يرجّى الفتى كيما يضر وينفعا

وشاهرود قرية غربى خراسان على مقربة من حدود ولاية استر آباد ، طولها ٥٢ درجة وعرضها ٣٦ وارتفاعها ١١١٠ أمتار . وهى مكان تجارى على الجادة من طهران الى مشهد ، ويذهب منها طريقان الى استر آباد . وفيها مجرى ماء عذب ، وبساتينها كثيرة

والى الشمال منها بسطام بلد الصوفى الكبير أبى يزيد البسطامى المتوفى سنة ٣٦١ ، وبها قبره ؛ وقد تحولت التجارة عنها الى شاهرود فى القرن الماضى فتضاءلت حتى صارت قرية صغيرة . وقد بنى ألجايتو خان من السلاطين الايلخانية مسجد أبى يزيد والمسجد الجامع

— حرصت على زيارة أبى يزيد — فقيل لى سنزوره فى عودتنا من مشهد ، ثم لم يتيسر لنا هذا حينما رجعنا الى شاهرود قافلين الى طهران لضيق الوقت وتعلل سائق السيارة بوعورة الطريق . وأنا أنقل هنا ما كتبه ياقوت وقد زارها قبل سبعة قرون

فانى أن أرى الديار بعينى فلعلى أرى الديار بسمعى

قال ياقوت « وقد رأيت بسطام هذه ، وهى مدينة كبيرة ذات أسواق ، إلا أن أبنيتها مقتصدة ليست من أبنية الأغنياء . وهى فى فضاء من الأرض ، وبالقرب منها جبال عظام مشرفة عليها ، ولها نهر كبير جار . ورأيت قبر أبى يزيد البسطامى رحمه الله فى وسط البلد فى طرف السوق . وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان الزاهد البسطامى »

وبسطام ودامغان كانتا من مدن قومس المعروفة فى التاريخ الأسلامى

تركنا شاهرود صباحاً ونحن ننشد ما قاله أبو تمام حين اجتاز بقومس وهو يؤم عبدالله بن طاهر فى نيسابور

يقول فى قومس صحبى وقد أخذت
منا السرى وخطى المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا ؟
فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ونذكر ما قاله يحيى بن طالب الحنفى :

أقول لأصحابى ونحن بقومس
ونحن على أنباج ساهمة جرد
بعدنا وبيت الله من أرض قرقرى
وعن قاع موحوش وزرنا على البعد

فصلنا من شاهرود والساعة ثمان إلا ربعاً من صباح الأربعاء ومررنا بعد نصف ساعة بقرية قفر اسمها خير آباد . قال سائق السيارة هذه قرية هاجت بساكنيها العقارب ، حتى تعذر عليهم الأقامة بها فهجروها ، ونزلنا بعد ساعة وعشر دقائق فى منزل على الطريق اسمه (باغ زيدر) ، فشربنا الشاى على جدول عليه أشجار جميلة . وسلكنا طريقاً موحشة ذات تلال ومحان كثيرة . قال محدثنا كانت طريقاً مخوفة لا يفارقها خطر التركمان . ورأينا هناك قلاعا قديمة مشرفة على الطريق . ونزلنا وقت الظهر فى قرية اسمها داوكرزن فى خان ضربت فيه خيام كبيرة فاسترحنا وتغدينا ، ثم ركبنا بعد ساعة ونصف نؤم سبزوار . وهى كاسمها فى إقليم مخضر ، كثير البساتين فيه مجرى ماء ، وكانت مدينة عامرة ، قامت فيها فى القرن الثامن الهجرى (٧٣٥ ـ ٧٧٢) أمارة عرف أمراؤها باسم السربداريين (سربداران) وأولهم خواجه عبدالرازق أحد رجال السلطان أبى سعيد آخر ملوك الدولة الأيلخانية . ودامت الأمارة خمسا وثلاثين سنة تداول فيها الأمر المضطرب اثنا عشر أميراً حتى قضى عليهم تيمورلنك

وسبزوار الآن بلدة صغيرة لا يبدو عليها غنى ولا جمال . دخلناها وقد زين شارعها خيوط من مصابيح الكهرباء . نزلنا بها وأوينا إلى خان واسع ذى طبقتين ، فرشت حجراته فرشاً حسناً من أجل وفود الفردوسى . وبتنا ليلتنا مسرورين على ما صحب بعضنا من برد شاهرود

نحن الآن على مائة كيل من نيسابور العظيمة . فتنظر فى المقال الآتى حديث نيسابور

عبد الوهاب عزام

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾

شركة مصر للملاحة البحرية

شركة مساهمة مصرية

سهلت السبيل اليه بباخرتيها الفخمتين

زمزم والكوثر

حيث يجد الحاج فيهما كل أسباب الراحة وحسن المعاملة